مُناقشات

قصص العدد الماضي ...

بقلم : محمود شقير

يحوي العدد الماضي من الاداب ست قصص ، ثلاثا مترجمة ،وثلاثا عربية ، وانني اذ اعتذر ـ لظروف خاصة ـ عن الخوض في القصص المترجمة ، لايفوتني ان اتقدم بالشكر والعرفان للجهود المخلصة التي بذلت في تعريبها ، مما يقود الى انفتاح العقلية العربية على اداب الامم الاخرى ، ويدرأ عن المثقف العربي خطر التقوقع والانطوائية ، اما الان ، فهيا بنا نرى ماذا قدمت اقلام الثلاثة الاخرين .

((الطائر الابيض)) قصة : نديم خشفة

ذات يوم احرق ((ابو رحمو)) قطا لانه سرق له طيرا .. هذا مايقوله نديم خشفه ، تصوروا ، يحكم على القط حرقا حتى الموت ،ولست اسوق ذلك لاستمطر دموع الترحم على رماد الجثة المحروقة ، وانما لابين مدى الاعتساف والافتعال اللذين يعتوران بناء القصة .. والقصة باختصار ترتفع على كاهل البطل ((عمر)) الذي يمتلك عصابة طيور يطيرها كل صباح لتحلق في الجو ، فتعود اليه وقد اغوت بعض طيور غريبة ، فيتولى عمر جلب هذه الطيور في سوق الجمعة .. اما ابو رحمو ذلك السكير العابث الذي يحرق القطط دون شفقة ، فهو جار البطل ، يمتهن نفس مهنته ، لكن عمر يمتلك طيرا ابيض .. وياله من طير .. ((طير تحرسه الملائكة ، فلا يخشى على سرب يقوده هلكة ولا فتكا)) لذا لن نستغرب هيام عمر بهذا الطير الى حد يفوق التصور .. فحينما يطير في الجو يتمنى عمر بكل بهلوانية ان ((ينبت له جناح مكان يديه هاتين)) .. تصوروا ، جناح واحد ليحلق به في اثر طائره الابيض ليقبله ثم يمسح على زغبه الدافيء وهو يحدق في عينيه ... ماشاء الله ، كل هذه الغرائب يريد لها ان تتم في الجو ، وليت الكاتب وفر على نفسه هذه الرومانسية المفتعلة ، واعطى بطله خواطر مناسبة ومعقولة على الاقل ، كأن يتلهف الى تقبيل طائره حالما يهبط عائدا الى الارض . مهما يكن ، تستمر الاحداث في تدحرج ثقيل ، ويعود السرب بعد تحليق .. ويتفقد البطل طيوره ، فيعثر على طائرين غريبين ، لكنه يفتقد طيره الذي تحرسه الملائكة ، فلا يقع له على اثر ، ولكي يفتن نديم خشفه في عرض الاحداث ، فان بطله ((يكشف الحصير عن ارض القفص وقد خيل اليه الجزع انه قد يجد الطير تحته ، فلم يجد احدا)) .صدقوني ان هذا ليس افتراء ، فالبطل لم يجد احدا ، وواضح انه يقصد بـ ((احدا)) الطائر المحروس ، ومن ثم تتنامى الاحداث في تشابك معقد غريب لا يخطر على بال احد . فالطائران الغريبان من طيور الجار ((ابو رحمو)) ... اما الطائر الابيض ، فيعلم عمر انه قابع في احد اقفاص هذا الجار، ومع ذلك فالجار يرفض ان يعطي البطل طائره ، بالرغم من انه ((أطمعه بالمال ، واعطاه طيريه اللذين غنمهما منه)) لكن الجار ـ لعنه الله ((يلوي اعناق الطيرين بيده ويرميهما في وجهه)) .. قد يكون هذا السلوك غير مستغرب من جار يحرق القطط ، لكن مايدهش في الامر اقدام البطل على دفع المال لمجرد الحصول على حقه الشرعي .. ولعله واضح مدى الاسفاف والابتذالية في بناء القصة ، فالكاتب يعمد الى الافتئات على الواقع يشوهه ويزيفه ليقود بطله على جثث مركومة من الاحداث المزيفة التي يرفضها الواقع الحياتي الخام ، وبديهي ان الفن لا يعتمد تحويل الواقع الى لا واقع ، انما العكس .. تحويل اللاواقع الى واقع تستسيغه النفوس ، وقد لفت انتباهي ذلك التهافت الذريع على اقتناص الصور المنفرة والالفاظ الناشزة التي تفتال أي ايحاء ايجابي .. مثل ذلك ((هرب النعاس من المداخن وقد احمرت عيناه)).. ((فاذا النور قد بنى اعشاشه في زوايا الظل)) .. اما محنة المحن ،فهي ترفع الكاتب عن وصف الغروب وهبوط الليل بمنطق معقول ، واذ يتخلى عن ذلك فانه يفجعنا بأوصاف بهلوانية مضحكة ، يقول ((اطلت الشمس على الافق فراعها هذه الهاوية من الغيب التي تريد ان تبتلعها فاصفر لونها ، وتمطى الظلام بكهفه الشرقي)) .. ثمة اشياء اخرى .. اذ ينبغي للقاص ان ينتقي مايلائم غرضه من احداث الواقع وفق عملية اصطفاء فني دقيق .. يصطفي الاحداث ، ليقف البناء الفني للقصة وحدة متماسكة لايعروها التخلخل .. ويصطفي الجو الملائم الذي يمكن ان يعتبر بمثابة خلفية تصطبغ بها الاحداث .. وحتى الكلمات يجب ان يصطفيها بدقة وحذر .. واما نصيب هذه القصة من الاصطفاء ، فهو مغمط للغاية ومهزوز .. وقد رأينا نهافت البناء فيها .. أما الجو ، فأية ايحاءات يمكن ان يلون بها نفسياتنا ؟؟ الايحاءات في القصة متنافرة يجهضها ولوع الكاتب بالتحذلقات اللغوية المقيتة .. فبينما الشمس تسري في دم البطل ، نجد في اللحظة ذاتها ان الشوق يزهر في صدره .. وبينما تلفح وجهه حرارة الشمس نلفي الريح تعبث بالخرقة .. هذا بينما تتخذ المسامير هيئة عجائز تتقي الشمس بمظال سود قديمة ..كل هذه الاوصاف المتناقضة تنثال في لحظة زمانية محصورة لا تسمح بمثل هذا التبعثر والتناقض .. أما كلمات الكاتب فهي نهب الثرثرة الخاوية التي لا طائل تحتها والتشتت والتعميم وضعف التراكيب الاسلوبية. مثال الثرثرة ، تلك الخواطر الزائفة التي تصطرع في وعي البطل، ويمكن القاريء أن يعود اليها ليتبين ما تزخر به من خواء وجهل بكيفيةاستعمال المنولوج الداخلي .. هذا بالاضافة الى تلك الثرثرة التي تحاول ان تلبس حلة الفلسفة ((يؤثر ان تكون مزينة بصور الطيور والعصافير ليأتلف ذلك مع مهنته ، ويبتعد عن النفاق فلا يخالف ظاهره باطنهوسره علانيته)) .. أما التشتت فمثاله ((قبعة ملونة مما يصنعه المسجونون يقطعون به سنين الملل الناعس)) ولست أرى أية ضرورة لذكر المسجونين رغم انهم صانعو القبعات ، الا اذا كان الكاتب يخشى ان يطالبوهالاعتراف بفضلهم !.. واما التعميم فمثاله ((الطيور تنقر صدرها الابيض)) ..أين الاحمر والاسود واللازوردي وغيرها من الوان الطيور . مثل اخر ((كما يعز على حامل الراية ان يرمي بها الى الارض ولو خذله الجند))..ومن قال ان كل حامل راية لا بد ان يكون جعفرا الطيار .. واما ضعف التراكيبالاسلوبية فمثاله ((ثم ارسل ما أفضل منها على جانبه)) و ((بطنه يرتج من أمامه)) كلمة اخيرة ، وهي أن القصة ـ رغم دموع البطل ـ تبقى مجرد أحداث جامدة تعجز عنايصال أية عاطفة او احساس الى نفسية القاريء ، فلا تترك في وجدانه أي انطباع حالما يفرغ من قراءتها.

صدر عن دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع :

كونكاس بوربا

للكاتب البرازيلي مساشادو دو أسيس

ترجمة الدكتور سامي دروبي

٣٥٠ صفحة حجم كبير ورق أبيض

السعر ٣٥٠ قرش

((غدا تمطر السماء)) قصة : احمد الشاعر

بطل هذه القصة عامل معدم يدعى ((ابو فريد)) ، وحينما نتعرف عليه في بداية القصة نلفيه انسانا عاديا بسيطا لا تتجاوز أحلامه مجرد الحصول على كيلوغرام من الفاصولياء .. لكن العامل الساذج ينقلب في نهاية القصة ، على يد أحمد الشاعر ، الى عالم ديموغرافي يتفكر في المشاكل الناجمة عن ازدياد سكان العالم .. وكأن الكاتب قد ادرك ما تعانيه قصته من فقر دموي تنعدم معه حرارة المعالجة الفنية ، فراح يسفح الحوادث الدامية لكأنه يقدمها قرابين شفاعة واستعطاف .. فهو يفاجئنا في اول القصة بحادثة فجة يبدو التكلف والافتعال فيها بشكل ملموس .. اذ يموت ابن أحد العمال نتيجة اصطدام سيارة ، ولكن ارتباط البناء العام للقصة بهذا الجزء منها يكاد يكون واهيا جدا .. كما اننا لا نشعر بأي تعاطف او مشاركة وجدانية مع هذا المنكوب الذي لا نعرف عنه أي بعد انساني يمكن ان يثير فينا عاطفة حقيقية ، رغم ان الكاتب أهدر دموع الحزن من مآقي العيون أنهارا وقنوات. ولنعد الى البطل ((ابو فريد)) .. انه الان في طريقه الى ((الخضرجي)) كي يبيعه كيلوغرام فاصولياء .. وحينما يدخل الدكان ، يعمد الكاتب الى حشر منظر تفوح منه رائحة الاقحام اللامجدي .. اذ يقول ابو فريد او يهمس ، لست ادري ((ما هذا الشكل المقرف بلحيته الكثة وشعره الطويل المنفوش)) وقد كان بوسع الكاتب ان يدلل على سوء حالة البطل المادية المنعكسة اثارها على هيئته ، بصورة الطف واكثر فتنة من هذه الصورة الكريهة ، الجليدية الكلمات .. ومن ثم يعقد الكاتب حوارا بين الزبون والتاجر ، ليخلص من هذا الحوار الى نتيجة هي أن التاجر لئيم فظ خال من الرأفة ، وكأنني بالكاتب يريد ان يرمي تبعات البؤس والشقاء الانساني كلها على عاتق هذا التاجر ، لكنه فشل في ضبط نفسية التاجر ورسمها بشكل يتفق وما كان يقصد اليه نتيجة لخلطه المشوش

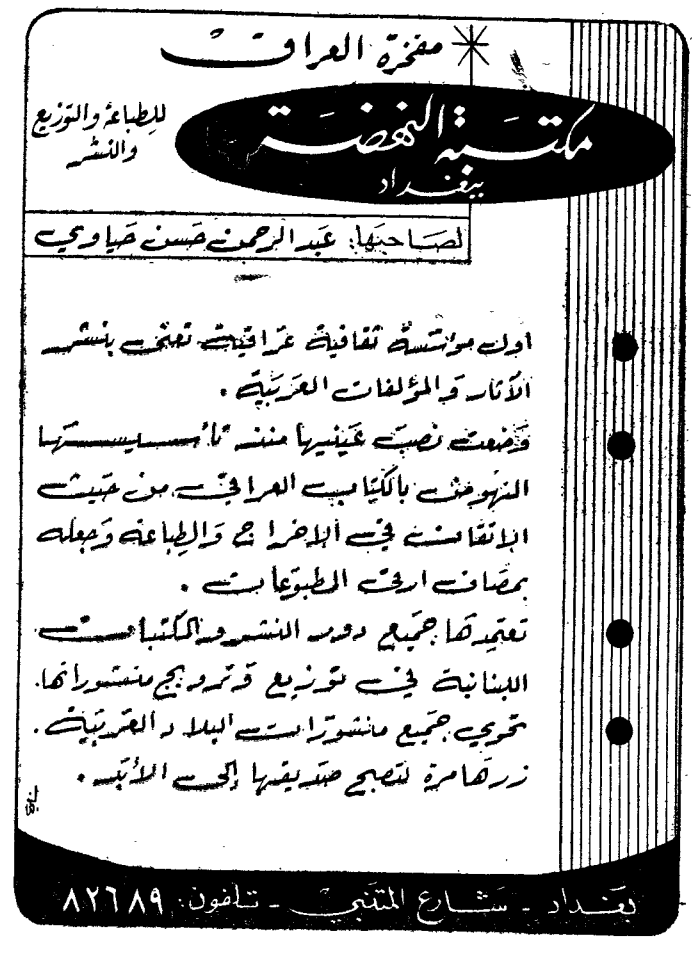

ـ في السرد .. واريد أن أضيف بأن الكاتب فشل في معالجة هذه المشكلة الاجتماعية ، لانه لم يغص الى اعماقها ليكشف بثراء عما يفجر في نفوسنا طاقات من المشاركة الصادقة ، وانما آثر البقاء على السطح يتصيد الاحداث من هنا وهناك .. يحشرها بعضا الى بعض ، تتنزى منها اصداء باهتة مفلوشة . حسنا ، ينكفيء البطل الى بيته .. وعلى طريق العودة يستحيل بفضل احمد الشاعر الى مالثوس اخر .. فمن يصدق أن انسانا ساذجا تخطر في ذهنه تأملات مثل ((لماذا تزوج ما دام لا يستطيع أن يؤمن اللقمة لصغاره ، ولماذا انجب هذا العدد الضخم من الجياع دائما .. هل طلب اليه زيادة سكان العالم .. ولماذا اختاره الله لاداء هذه المهمة الشاقة ؟ وتصور انه لو انجب كل متزوج توأما كل احد عشر شهرا لاضطر سكان الارض للنوم وقوفا)) لله دره من بطل .. كيف لا ، وعقليته تتسع لمثل هذه الافكار والتساؤلات.. لكنني لن اصدق ما حييت أن شخصا ساذجا كأبي فريد تكون لديه ادنى فكرة عن العلاقة بين التضخم السكاني والخير المكاني للارض .. لذا، أقرر ان الكاتب صب في رأس بطله ما يحفظه من مقولات ديموغرافية، ومن ثم ، استحال البطل الى دمية ميته لا تتمتع باية حياة يعبث بها الكاتب وينلهى كما يحلو له.. ويشحنها بأية قضية يود ان يبرزها.. لكن انعدام الصدق الفني في اعطاء البطل حقه المشروع من الحياة يتجلى في مقاطع اخرى امر وادهى .. فهنالك جوقة فلاسفة بكاملها تتحاور في رأس البطل ((أنت كافر .. مشرك بالله لا تعرف للفضيلة ولا للقيم الانسانية معنى)) ويرد عليه اخر ((لا تتدخل في اشياء لا تعنيك ، انك دائما مثالي قذر ، ثم دعني اسألك ، ما ثمن هذه القيم التي تتحدث عنها ، هل تشتريها بكيلو فاصولياء ؟)) أرأيتم تجلي الفلسفة وتقرير مصير الفضيلة والقيم ، كل هذه المسائل العويصة تصطرع في رأس ابو فريد اثر فشله في الحصول على كيلوفاصولياء .. ليته حصل على مأربه وانطلق عائدا الى بيته في نشوة وسرور اذن لما أقرفنا بهذه السفسطة الممضوغة !

((البطل)) قصة : ضياء الشرقاوي

هذا المغترب العجيب في القاهرة ، وأقصد به بطل القصة ، مهووس مفرق في رومانسية مراهقة الى حد زائد .. يتمنى ان يصبح شخصية عظيمة تقوم لها الدنيا وتقعد ، لكنه لا يلبث ان يغص بواقعه الحقيقي ، فيجتر خواطره في سأم قاتل ((كل القارات المجهولة قد اكتشفت ، وكل القمم التي تحدت ارادة الانسان قد قهرت .. اوه ، كأننا اصبحنا في عالم لم يعد للانسان فيه قيمة تذكر)) .. لكن الرغبة المجنونة لتأكيد الذات تثور في اعماقه مرة اخرى ، فيقصد ابن عمه يخبره في كبرياء بأنه سيترك العمل ، والحق أن الشرقاوي قد رصد ذلك الموقف بعمق وثراء ، مما جعله يمور بالحيوية وعمق العاطفة ، ويتميز عن باقي اجزاء القصة بصدق الاداء والابتعاد عن المبالغات المغلوطة المزيفة .. ويعود البطل ليمارس مهنته في مكان اخر ، فيجد البطولة كلها متمثلة في ممارسة ذلك العمل .. ما السبب ؟؟ يفند الشرقاوي ذلك بقوله : احساسه بانه يحمل مسؤولية ما . ويضيف بأنه ظل ينتشي بتلك البطولة لسنوات قليلة . ما السبب ؟؟ المسؤولية أيضا .. لكن الشرقاوي هذه المرة يقوم بكل هوجائية على مناقضة الواقع الانساني من أساسه .. فانسان العصر الحديث يعاني من مرض المسؤولية أشد معاناة .. ويستحيل الواجب المناط به كصخرة صماء يجرجرها من خلفه ، تجرعه غصص الملل والفجر، أما ان ينتشي انسان بتحمل المسؤولية طوال سنوات ، فهذا عين الزور والبهتان فبينما يتهرب الانسان المعاصر من ثقل المسؤولية ، ونراه يلوذ الى طرق فرعية يقتل بها سأم المسؤولية اذا ما حكم عليه بها، نلفي بطل الشرقاوي يصرح بكل غباء أنه لا بد أن يفتش عن مسؤولية ما يحملها على عاتقه ليشعر بالنشوة والسعادة ، وليس غريبا على مثل هذا البطل ان يصرح بكل بهلوانية انه قرر الزواج فقط ليتحمل المسؤولية ، وليرتشف اكواب السعادة اثر تحمل مسؤولية الزواج التي ربما يحسب أنها لا تدر الا خمرا وعسلا ..

القدس

محمود شقير